

العقلانية وتجلياتها في الفلسفة اليونانية

rationality and its manifestations in Greek philosophy

قروي إيمان*، جامعة محمد بوضياف – المسيلة

imane.gueroui, University of M'sila

imane.gueroui@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2025/07/01

تاريخ القبول: 2025/06/01

تاريخ الاستلام: 2025/04/29

ملخص:

إن البحث في إرهاصات النزعة العقلية عند فلاسفة اليونان، وكيفية الانعتاق من التفسيرات الخيالية للأساطير، والتأسيس لمعارف جديدة عن طريق الاحتكام للعقل وقدراته في إدراك الحقائق، قد شكل تحدياً أو نزعة مناوئة لتلك المعرفة الساذجة والأسطورية والتشكيك في السرديات المتوارثة، خاصة مع جهود كل من أفلاطون وأرسطو التي شكلت أرضية أولى لتحرير العقل من وهم الخرافة، والتأسيس للتأملات العقلانية كمصدر للمعرفة وهذا ما سنبينه من خلال بحثنا هذا، ومن خلال تبين مساهمات فلاسفة اليونان في إرساء أرضية صلبة للتفكير العقلاني.

كلمات مفتاحية: العقلانية، التفكير، التأمل، المعرفة، التفسير

Abstract:

The investigation into the beginnings of rationalism among Greek philosophers, and how to free oneself from imaginative interpretations of myths, and establish new knowledge by resorting to reason and its abilities to perceive facts, has posed a challenge or a tendency against that naive and mythical knowledge and questioning of inherited narratives, especially with the efforts of both Plato and Aristotle, which formed the first ground for liberating the mind from the illusion of superstition, and establishing rational contemplations as a source of knowledge. This is what we will

* المؤلف المرسل: الباحثة قروي إيمان

demonstrate through this research, and through clarifying the contributions of Greek philosophers in establishing a solid foundation for rational thinking.

Key word: rationality, thinking, contemplation, knowledge, interpretation

1. مقدمة:

نتعرض في هذا المقال إلى السياق التاريخي والفلسفي لسيروية وصيرورة العقل الحدائي، ثم عرض تاريخي لتجليات العقلانية في الغرب بداية بالعصر اليوناني مروراً بالعصر الوسيط، ثم الحقبة الحديثة التي عُرِفَت بعصر النهضة والتَّنوير، والغرض من ذلك معرفة مسار نشأة العقل الحدائي بصيغته الغربية، والذي لم يكن طفرة طارئة، بل تطور تراكمي تدريجي، خاصّة وإنَّ التاريخ الغربي يعتبر الفلسفة اليونانية هي النموذج الأول للعقلانية التي انقطعت وكُتِبَت في العصر الوسيط بفعل هيمنة اللاهوت المقدّس، ثم بعد الثورة وما أعقبها من حركة نقد واسعة تكملت بالعمل الضخم للأنسكلوبيديين الذين حدّدوا مفهوم ووظيفة العقل بالصورة التي حملها المشروع الحدائي بداية من القرن السَّابع عشر، فكان من الضروري عرض هذا السياق التاريخي لمعرفة علاقته بمآلات العقل الحدائي وتحولاته واستعمالاته غير المشروعة التي انقلبت على أهداف عصر التَّنوير، والمشروع الحدائي نفسه. فما هي نظرة العقل اليوناني للعقلانية؟

1. حول مفهوم العقلانية

شهدت أوروبا جملة من التحولات والتطورات منذ نهاية العصور الوسطى والتي كانت حافزاً رئيسياً لبروز الحداثة في المجتمعات الغربية، حيث بدأت هذه التحولات بنقد للسلطة الدينية وأفكار الكنيسة الكاثوليكية وكهنوتها ونظامها التي هيمنت على الحياة الدينية في أوروبا، لتأخذ الحداثة مسارات أخرى شملت مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى الجوانب الأدبية والفنية والمعمارية.

إن البحث في أغوار هذا المفهوم وتأصيله من خلال ربطه بمسارات الفلسفة السياسية يعد نقطة انطلاق رئيسية لفهم الحداثة في سياقات تاريخية مختلفة، حيث يؤكد ليو شتراوس Leo Strauss أن: "التعديل الأساسي على الفلسفة السياسية المرتبطة بحقبة ما قبل الحداثة" التي عاصرها سقراط Socrates، وأفلاطون Plato، وأرسطو Aristotle، والذي قدمه فلاسفة العصر الحديث، هو الذي يشير إلى العلاقة بين الحداثة والفلسفة السياسية (رابح خليفي، 2022، ص 1435)

وبالتالي، لابد من البحث عن جذور هذه الظاهرة في الفلسفة اليونانية باعتبارها عرفت عدة تحولات جوهرية بدت وكأنها تحاول تحديث الحياة الفكرية وتجاوز الموروثات الثقافية.

وإذا كان لا بد من تحديد لحظة تاريخية تُعد بداية لاكتشاف العقل أو ظهور بؤادر التفكير العقلاني، فإن من المنطقي الالتزام بما اتفق عليه مؤرخو الفكر الإنساني، وهو أن "اللحظة الإغريقية" تمثل لحظة ميلاد "العقل"؛ فقد شهدت تلك الفترة نشاطاً فكرياً خالصاً، وحواراً جدلياً مكثفاً بين البشر في بلاد اليونان، بفضل تدخل العقل، مما أدى إلى ظهور ظاهرة التفلسف وبزوغ الفلسفة اليونانية. ومما لا شك فيه أن هذه النزعة العقلية التي برزت في الفلسفة اليونانية كانت نتيجة لذلك التحول الفكري الذي لازم المجتمع اليوناني حيث انتقل من مرحلة الأساطير التي كانت تسود في المجتمعات القبلية إلى مجتمع المدينة، صاحبه ذلك بروز طبقة ثرية من التجار الذين تبنا النظام الديمقراطي، وساهموا في توجيه نقد عقلاني للعادات والتقاليد الموروثة من المجتمع القبلي، كما استحدثوا مفاهيم جديدة فيما يتعلق بالقوانين والقيم والهندسة والفكر، وقد وُصفت هذه النقلة التاريخية بأنها انتقال من هيمنة الخرافة أو الأسطورة (Mythos) إلى هيمنة التفسير العقلاني (Logos). بناءً على ذلك، أصبح العقل في الفكر اليوناني يوصف بأنه النقيض الأساسي للفكر الأسطوري. (بوزبوجة أحمد، 2019، ص 37، 38)

وعلى هذا الأساس، فمن المؤكد تاريخياً بأنه مهما اختلفت الأدوار التي مرت بها الفلسفة اليونانية إلا أنها قد بدأت تتبلور كفلسفة حقيقية تسترشد بنور العقل، بالتزامن مع فترة التحول عن التفكير الأسطوري، وقد تجسد هذا التحول بشكل خاص مع طاليس الذي يُعتبر المؤسس الأول للخطاب الفلسفي اليوناني. ومع ذلك، يجب الإقرار بأن الفكر اليوناني الكلاسيكي لم يكن معزولاً تماماً عن تأثيرات التفكير الأسطوري والخرافي، حتى في القرن الرابع قبل الميلاد الذي توج بإسهامات كل من أفلاطون وأرسطو، وفي هذا السياق يشير جان بيار فرنان إلى أن: "التطور الفكري في اليونان، من هيسودوس إلى أرسطو، قد اتخذ مسارين متميزين. في المسار الأول، كان هناك تمييز واضح بين العالم الطبيعي، والعالم البشري، وعالم القوى المقدسة التي كانت تختلط في المخيلة الأسطورية. هذه المخيلة، تارةً تدمج بين المجالات المختلفة، وتارةً أخرى تنتقل بينها بانسيابية، وأحياناً تقيم تطابقات نظامية تربط بين كل هذه القطاعات المتنوعة. أما في المسار الثاني، فقد اتجه الفكر العقلاني إلى تجاوز هذه المفاهيم المتداخلة وغير المتناسقة التي تميزت بها الميثولوجيا، وقد رفض الفكر العقلاني الجمع بين المتناقضات أو الدمج التعسفي للأضداد، كما عمل على التخلص من أساليب الاستدلال التي تعتمد على الغموض والالتباس. وبدلاً من ذلك،

تبنى مبدأ عدم التناقض والوضوح، معتمداً استدلالاً منطقيًا يتسم بالدقة والانسجام (خالدي مزاتي، 2016م، ص289)

وبالتالي، فإن البحث في إرهاسات النزعة العقلية عند فلاسفة اليونان وكيفية الانعتاق من التفسيرات الخيالية للأساطير والتأسيس لمعارف جديدة عن طريق الاحتكام للعقل وقدراته على إدراك الحقائق، قد شكل تحدياً أو نزعة مناوئة لتلك المعرفة الساذجة والأسطورية والتشكيك في السرديات المتوارثة، خاصة مع جهود كل من أفلاطون وأرسطو التي شكلت أرضية أولى لتحرير العقل من وهم الخرافة والتأسيس للتأملات العقلانية كمصدر للمعرفة.

2. المثالية الأفلاطونية.

يرى أفلاطون أن العقل هو الملكة أو القدرة التي تمكن الإنسان من الوصول إلى المعرفة المطلقة، بينما تقف الحواس في الطرف المقابل، إذ إنها لا تتيح سوى معرفة نسبية زائفة. فبالنسبة لأفلاطون، ثمة تباين دائم حول مفاهيم مثل الجمال، أو الفضيلة، أو الحجم، حيث إن ما يُعتبر جميلاً اليوم قد يبدو قبيحاً بعد مرور الزمن. وينطبق هذا الأمر على جميع الأشياء التي تخضع للإدراك الحسي، مما دفعه إلى تقسيم العالم إلى قسمين: العالم الحسي

والعالم العقلي. وابتكر أفلاطون مفهوم "عالم المثل" باعتباره عالماً مثالياً يقيم فيه العقل وحده متجاوزاً الواقع المادي، هذا العالم يتسم بالتعالى والسمو على العالم الحسي المتغير. وأكد أفلاطون أن المعرفة الحقيقية لا تتحقق إلا بالانتقال من إدراك العالم الحسي – الذي تُدرّكه الحواس الخمس – إلى فهم العالم العقلي أو عالم المعقولات، وهو عالم منفصل لا يمكن أن نستوعب موضوعاته إلا عبر التأمل العقلي الخالص (بوزوجة أحمد، 2019، ص65) فأفلاطون يحاول أن يؤكد على حقيقة أن الفيلسوف الحقيقي يمكنه اقتفاء الحقيقة المطلقة عن طريق أعمال العقل، وتجاوز أوهام العالم المادي (المعرفة الحسية) التي قد تقودنا إلى إصدار قرارات خاطئة، ليصبح العقل أساس التفكير التأملية.

وفهم أفكار أفلاطون يهر عبر فهم نظريته في المثل التي تقود في النهاية إلى جوهر الفلسفة الأفلاطونية، وذلك أشبه بمحبي الفنون البصرية والسمعية أين يجدون متعة في النغمات، والألوان، والأشكال الجميلة، وكل أشكال الإبداع الفني. ومع ذلك، يظل إدراكهم عاجزاً عن فهم الجمال المطلق بذاته، فهؤلاء الأفراد – مثلهم مثل غالبية الناس – يؤمنون بوجود الأشياء الجميلة ولكنهم يعجزون عن الإيمان أو إدراك مفهوم "الجمال" بذاته. ووفقاً لأفلاطون، فإن غير الفلاسفة يعيشون في حالة أشبه بالحلم، حيث يخلطون بين الأشياء المتحركة – أي الأشياء الجميلة – وبين

الواقع - "الجمال" في حد ذاته-. على النقيض من ذلك، فإن الفلاسفة الحقيقيين هم أولئك الذين استيقظوا من هذا الحلم. هؤلاء يدركون وجود عالم مثالي قوامه "المثل"، وهو مصدر الأشياء والصور غير المثالية التي تتمظهر بعيدا عن العالم المادي وعن أحكامنا الذاتية. ووظيفة الفيلسوف الحقيقي حسب أفلاطون، هي استخدام البحث العقلي لفهم هذه الحقائق السامية والتركيز على جوهرها الأساسي.

عندما يُستخدم مصطلح «الأفلاطونية»، فإنه غالبًا يشير إلى الرؤية الفلسفية التي ترى الحقيقة السامية متجاوزة للعالم المادي، ومن أمثلة ذلك في عصرنا الحالي محاولات علماء الرياضيات وصف طبيعة الأشياء الرياضية، مثل الأعداد أو تبين الحقائق الرياضية، إذ يعتمدون على الأفكار الأفلاطونية. وفي هذا السياق يجادل روجر بنروز بقوله "أتصور أنه عندما يُدرك العقل فكرة رياضية ما؛ فإنه يتصل بعالم المفاهيم الرياضية لدى أفلاطون (ولنتذكر أنه طبقا للمنظور الأفلاطوني، فإن الأفكار الرياضية قائمة بذاتها، وموجودة في عالم أفلاطوني مثالي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق العقل. وعندما يدرك أحدهم حقيقة رياضية ما؛ فإن وعيه يدخل عالم الأفكار ويتصل به اتصالا مباشرا." (جوتيلب أنتوني 2017، ص198)

ولأن بنروز يؤمن بأن الحقائق الرياضية تتمتع بوجود مستقل في عالم أفلاطوني مثالي، وأن الرياضيات هي الأساس الذي تقوم عليه كل المعرفة العلمية، فإنه يرى أن طبيعة العالم المادي لا يمكن فهمها فهمًا كاملاً إلا من خلال هذا العالم المثالي. بمعنى آخر، فإن العقل وحده قادر على الوصول إلى هذا العالم الأفلاطوني المثالي واكتشاف الحقائق السامية التي تشكل الأساس الحقيقي للوجود.

وعلى هذا الأساس، فإن التعامل مع العالم المادي أو الواقعي -حسب نظرية أفلاطون- يشبه التعامل مع ظلال الأشياء، حيث لا يمكن الوصول إلى معرفة حقيقتها إلا من خلال تجاوز الإدراك الحسي والاعتماد الكامل على العقل. وهذا هو الأساس الذي دفع أفلاطون إلى رفض الحواس كمصدر موثوق للمعرفة، مؤكداً أن المعرفة الحقيقية لا تُدرك إلا باستخدام العقل الخالص. وقد كان تفسير أفلاطون لطبيعة المعرفة الفلسفية الحقيقية وموضوعاتها تأثيراً عميقاً على الفكر الفلسفي اللاحق، مما يجعله مستحقاً للقب "أبو العقلانية" في كثير من النقاط. فمن خلال نظريته في المعرفة، وضع أفلاطون أسس الفكر العقلاني الذي ارتكز عليه الفلاسفة العقلانيون لاحقاً، حيث استلهموا منه قيمة العقل كمصدر موثوق للمعرفة. وعبر أفلاطون عن هذا المبدأ بوضوح

حين قال بأنه ينبغي على الإنسان أن يسعى للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر ممارسة العقل الخالص، بعيداً عن الاعتماد على الحواس.

باختصار فإن المعرفة تُدرَكُ في عالم المثل من خلال التفلسف العقلاني، فهي في نظره ليست سوى عملية تذكّر، بينما الجهل يُعبر عن نسيان. وهذا يعني أن الإنسان كلما ابتعد عن عالم المثل، ازداد جهله بالحقيقة. ولهذا، فإن المعرفة الحقيقية تعتمد على إدراك عالم المثل وفهم مبادئه المطلقة والكونية، التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، فأفلاطون يؤكد أن أصل المعرفة هو العقل وحده، وليس التجربة أو الواقع المادي الذي لا يعدو كونه انعكاساً مشوهاً لعالم المثل، ومن هنا يلعب المثل عند أفلاطون دور العلة التي تفسر الوجود الطبيعي. (عبد السلام نادية عبد الهادي، 2017م، ص153)

لكن السؤال الذي يمكن أن يطرح في هذا الصدد هو كيف تحصل المعرفة ما دامت المثل مفارقة ولا تدرك بالحواس؟ للإجابة على ذلك، يطرح أفلاطون نظرية التذكر، ويستخدم السرد القصصي في محاورة "الجمهورية" لتوضيح آلية حصول المعرفة. ووفقاً لهذه النظرية، يرى أفلاطون أن النفس الإنسانية كانت في السابق جزءاً من عالم المثل، حيث كانت على دراية تامة بحقائق المثل المطلقة، غير أنها عندما هبطت إلى العالم المادي واتحدت بالجسد، فقدت هذه المعرفة. ومع ذلك، فإن هذه الحقائق لم تُمحَ تماماً، بل أصبحت كامنة في النفس، ويمكن إعادتها إلى السطح عبر عملية التذكر، والوسيلة التي تُمكن من ذلك هي الجدال، سواء كان ذلك من خلال الحوار مع الآخرين أو مع النفس ذاتها، ولعل أبرز مثال على ذلك هو سقراط في محاورة "مينون"، حيث يُظهر كيف استطاع أن يجعل عبداً غير متعلم يتذكر بعض المفاهيم الهندسية عن طريق توجيه سلسلة من الأسئلة المرتبة، -هذه الأسئلة لم تُعطِ العبد المعرفة-، بل حثته على استدعاء ما كان كامناً في نفسه.

ولإيضاح عملية المعرفة بشكل أعمق، استعرض أفلاطون قصة الكهف الشهيرة في كتاب "الجمهورية". في هذه القصة، يُشَبَّه حالة البشر في العالم الحسي بحال مجموعة من الأفراد المكبلين داخل كهف منذ ولادتهم، حيث وجوههم مواجهة لجدار الكهف، وخلفهم طريق يمر به أناس يحملون أشياء، وخلف الطريق نيران مشتعلة. نتيجة لذلك، تنعكس ظلال هذه الأشياء على الجدار أمام أعين المقيدين، وهؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً سوى الظلال يعتقدون أنها الحقيقة المطلقة، لكن إذا فك قيد أحدهم وتمكّن من الالتفات، فسيبدأ برؤية الأشياء الحقيقية خلفه، وسيدرك أن الظلال التي كان يراها ليست سوى انعكاسات زائفة، وإذا خرج من الكهف تماماً ورأى

ضوء الشمس، فسيصل إلى إدراك عالم المثل. الشخص الذي يُحرر نفسه ويدرك الحقيقة هو الفيلسوف، الذي استطاع بفضل عقله وجهده الفكري أن يرتقي من الإدراك الحسي الزائف إلى إدراك الحقائق المطلقة في عالم المثل ، فالعقل إذا هو المحرر من أوهام الأحاسيس وهو المبدأ الناظم لفهم الأشياء والحقائق في العالم المثالي المطلق، فهو أداة الحصول على المعرفة الهادفة للوصول إلى الحقيقة المطلقة، فالحقائق الراسخة لا تأتي إلا عن طريق التأمل العقلي كونه الملكة الوحيدة التي يمكن الوثوق فيها.

3. العقلانية الأرسطية

إذا كان من الممكن إثبات الدور التأسيسي لأفلاطون في بلورة العقلانية الفلسفية بشكل واضح، فإن تحديد الإسهام الأرسطي يظل إشكالية أكثر تعقيداً على المستوى الإبيستيمولوجي ، حيث تشيع في الأدبيات الفلسفية الدعوى القائلة بأن أرسطو قد تبنى مشروع تجريبيٍّ مؤسّس، مما يُنتج تصوّراً ثنائياً رائعاً يتمثّل في وقوع كلٍّ من العملاقين اليونانيين على رأس تيارين فلسفيين متنافسين: العقلانية والتجريبية. غير أن الحقل الفلسفي - بحكم طبيعته - يُعدُّ مجالاً معقداً ولا يكون بهذه البساطة. ولا شك في أن التمايز الأرسطي عن المنهج الأفلاطوني يتجلى في تركيزه الأنطولوجي على البنى الجزئية للواقع المحسوس، عبر تحليل مفصل للسلوكيات والكيانات القابلة للملاحظة المباشرة، وتشهد المؤلفات العلمية الموسوعية التي تركها أرسطو لا سيما في حقل التاريخ الطبيعي، على التراكم الكمي والنوعي للمعطيات التجريبية التي استند إليها في بناء تصوّراته، وإذا ما تفحص الباحث الخيار الأنطولوجي الأرسطي - بوصفه منهجية للكشف عن الموجودات - فإنه سيلحظ الفارق الجوهرى بين تصوّره المادي المُتجذّر في الواقع الملموس، وتجاوز أفلاطون نحو عالم المثل المجردة، فالجوهر الماهوي عند أرسطو ليس كلياً مُتعالياً، بل هو كيانٌ فرديٌّ محسوس، كالإنسان الفرد أو الحصان المُعيّن. ويُؤكّد كتاب "الميتافيزيقا" رفض أرسطو القاطع لفكرة أن الكليات (كالجمال أو العدل) قد تشكّل جوهرًا قائمًا بذاته، بل يُوجّه نقدًا لاذعًا لفكرة وجود "مثال الخير" أو "الخير المطلق" كما هيأت مُستقلّة عن التجسيّدات الجزئية (كوتنغهام جون، 1997، ص37)

وبالرغم من ذلك فإن تصنيف الخيار الإبيستيمولوجي الأرسطي ضمن تيار التجريبيين لا ينفي بالضرورة انتماء أرسطو للإرث العقلاني، وهنا يمكن المحاججة من خلال طرح إشكاليتين أساسيتين هما: ما مدى اعتبار الحواسِ المصدرَ التأسيسيَّ المطلق للمعرفة البشرية عند أرسطو؟ وما موقفه من إمكانية تحصيل المعرفة القبليّة؟

وفيما يخص السؤال الأول، يشيع في التراث الفلسفي أن أرسطو هو رائد المذهب التجريبي القائل بأنه: «لا يوجد في العقل ما لم يسبق وجوده في الحواس». هذا المبدأ المُعبّر عنه بالصيغة اللاتينية: "nihil in intellectu quod non prius fuerit in sensu" يُنكر -ظاهرياً- أي أصل فطري للمعرفة مؤكداً انبثاق كل مفوماتنا من الخبرة الحسية، وقد تبّنى توما الأكويني هذا التوجّه في دفاعه عن التجريبية معتبراً أنه يسترشد بالمنهج الأرسطي، غير أنّ التأمل في النصوص الأرسطية يكشف عن غياب تعبير يوناني مكافئ لهذه الصيغة الدقيقة، مما يطرح تساؤلات حول مدى دقتها. وفي كتابه "في النفس"، يطرح أرسطو تصوّراً للعملية المعرفية يقوم على تفاعل جدليّ بين الإدراك الحسي والقدرة العقلية؛ فتشكيل الصور الذهنية -كشرط للفهم- يستلزم مسبقاً وجود إدراك حسي: «لن يتعلّم المرء أو يفهم شيئاً دون إدراك حسيّ للأشياء». هذا الطرح يؤكد يبرز شرطية الإدراك الحسي للعالم من حولنا عند أرسطو كأساسٍ لاشتغال الآليات العقلية، دون الركون إلى الحواس حصراً كمصدر للمعرفة.

أما فيما يتعلق بمسألة المعرفة القبلية، لا يتضح بشكل قاطع أن أرسطو ينفي الرؤية الأفلاطونية التي تدعي أن العقل قادر على تزويدنا بالحقائق الجوهرية الضرورية عن الواقع، ففي تفسيره لبنية التفكير العلمي (في «التحليلات اللاحقة»)، يبدو أرسطو متأثراً بالتصوّر الاستنباطي-البديهي للمعرفة، وبدلاً من التركيز على الإجراءات الاستقرائية القائمة على الملاحظات الحسية كما سيتبناه لاحقاً التجريبيون -كفرانسيس بيكون- يحتاج أرسطو بأن النسق العلمي يجب أن يؤسس على مبادئ أولى ضرورية، تُستخلص منها الحقائق عبر براهين منطقية صارمة. ويعبّر عن ذلك بمقولة مفادها: "ما دام محالاً لما توجد له معرفة علمية أن يكون غير ذلك، فما هو معروف بفضل المعرفة البرهانية يجب أن يكون ضرورياً. ولذلك فالبرهان استنباط من المقدمات الضرورية". هذا التوجه يُوحى بتقاطع جوهريّ مع الفرضية الأفلاطونية حول طبيعة المعرفة العلمية، إذ يعتبر أن معرفة الواقع تكمن في استقصاء الحقائق الضرورية. (كوتنغهام جون، 1997، ص 39)

إن الإنسان بامتلاكه العقل يستطيع -وفقاً للتحليل الأرسطي- تخزين التجارب، وإجراء مقارنات تحليلية بين ما هو إيجابي وسلبي، كما يمكنه القيام بعمليات استدلال وتأمّل تفضي إلى استنتاجات منطقية، وبذلك يصبح اكتساب المعرفة حول العالم ممكناً من خلال تفاعل هذه العمليات العقلية. على هذا الأساس، يبدأ الفهم الإنساني بالإدراك قبل العمليات الحسية، حيث يكون العقل قبل التجربة الحسية أشبه بلوح فارغ لم يكتب عليه شيء بعد، فهو يوجد في حالة من الاحتمالية لتلقي المعرفة بشأن الظواهر القابلة للفهم، ولا بد من المرور بتجربة حسية لنقل عقله -من خلال عدد من التصورات الذهنية- من المعارف المحتملة نحو المعارف الفعلية. ورغم أن هذا

المنهج التجريبي قد يبدو أقل طموحا من التصور الأفلاطوني القائم على إدراك مباشر للأفكار المطلقة، إلا أنه يتميز بالطابع الملموس، مما يجعله أكثر قابلية للتطبيق.

ومع ذلك، فإن العقل البشري هو الذي يمنح التجربة الحسية القدرة على أن تُشكّل أساساً مناسباً للمعرفة اليقينية، فقد كان أرسطو- قبل كل شيء- فيلسوفاً كرس جهوده لتأسيس بنية الخطاب العقلاني، بحيث يمكن العقل البشري من إدراك العالم بأقصى درجات الدقة والفاعلية النظريتين، ساعياً إلى ترسيخ الاستخدام المنهجي السليم لقواعد المنطق واللغة، مستنداً في مشروعه الفلسفي إلى مبادئ سقراطية-أفلاطونية، مكنه ذلك من صياغة نموذج جديد يجمع بين الوضوح، التجانس، والابتكار. كما طوّر أدوات التحليل الفلسفي وأعاد تعريف طرق التفكير عبر توظيف مناهج الاستقراء والاستنباط، استخدام القياس، تحليل العلل وفقاً لأسبابها سواء كانت مادية، كفاءة ونهائية، كما أسس لمجموعة من التمييزات الأساسية، مثل الفرق بين الحامل والمحمول، المبتدأ والخبر، الجوهرى والعرضي، المادة والشكل، الاحتمال والواقع، العام والخاص، الجنس والنوع والفرد. كما حدّد مقولات الجوهر العشر المقولات العشر (الجوهر، الكمية، الكيفية، العلاقة، المكان، الزمان، الموقع، الحالة، الفعل، العاطفة) (تارناس ريتشارد، 2010، ص 90، 91) وقد شكلت جميعها فيما بعد أدوات تحليل أساسية بالنسبة للعقل الغربي، وإذا كان أفلاطون قد اعتمد الحدس المباشر في إدراك المثل العليا كأساس للمعرفة، فإن أرسطو تبني منهجاً قائماً على التجربة والمنطق.

4. خاتمة

وفي الأخير يمكن القول أن القيمة الفلسفية لهذا الجدل الإبستمولوجي بين النزعة الأفلاطونية والأرسطية تكمن في التأكيد على المذهب العقلاني كأساس للوصول إلى المعرفة، حيث أن تفسير الأشياء والظواهر لا بد أن يخضع لمنطق العقل باعتباره أعدل قسمة بين البشر، ليشكل هذا الأمر لحظة فارقة في تاريخ الفلسفة اليونانية كون العقل هو الناظم لكل شيء. هكذا نجد داخل الثقافة اليونانية الطبيعة أولاً بوصفها معطى ابتدائياً غير منظم ولا متميز، ثم تتدخل قوة أخرى تسمى «العقل» تعمل على إشاعة النظام في الطبيعة ، وفي الفلسفة اليونانية عموماً، ما يصدق على جزء من أجزاء الكون يصدق على الكون بأسره، والعكس صحيح ، وهكذا فالطبيعة في نظر أرسطو قابلة لأن يتعقلها العقل على الرغم مما يكتنفها من فوضى ويرافق حوادثها من غموض، ومن هنا كان العقل في التصور اليوناني الأرسطي هو « إدراك الأسباب »، أما أفلاطون فقد حدد عمل العقل في التذكر وبه تحصل المعرفة.

5. قائمة المراجع

- أنتوني جوتيلب، (2017)، حلم العقل، تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة
تر: نصار محمد طلحة، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة.
- جون كوتنغهام، (1997)، العقلانية: فلسفة متجددة، تر: الهاشي محمود منقذ، مركز
الإنماء الحضاري، سوريا.
- ريتشارد تارناس، (2010)، آلام العقل الغربي، فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى
العالم، تر: جتكر فاضل، العبيكان، المملكة العربية السعودية.
- الأطروحات:
- أحمد بوزبوجة، (2019)، سؤال العقل في الفكر العربي المعاصر عبد الله العروي
نموذجاً، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية،
جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2.
- المقالات:
- محمد محمود علي، (2022) نظرية المعرفة بين السفسطائيين وأفلاطون وأثرها في فلسفة
التربية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد 20، العدد 04، 2022،
ص122-141.
- مزاتي خالدي، (2016)، مفهوم العقل في الفلسفة الغربية: مسارات أساسية، مجلة
الحقيقة، العدد 38، ص282-298.
- خليفي رابح، (2022)، الحداثة في الفكر السياسي: مجلة الفكر القانوني والسياسي،
المجلد 06، العدد 01، ص1430-1452.
- عبد السلام نادية، (2017)، المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث عرض وتحليل،
مجلة كلية البنات الأزهرية، المجلد 02، العدد 01، ص149-258.